(١٦)
العوامل التى ساعدت النديم على الاختفاء

إنه لمن النادر أن يتحمل إنسان ما تحمله النديم من محن ومتاعب ومصاعب فى أثناء فترة الاختفاء دون أن تضعف نفسه أو يستسلم، ولكن نفسه القوية وعزمه المتين وثقته بالله تعالى كانت فوق كل الصعاب .

وفيما يلى نذكر العوامل التى ساعدته على تحمل محنة الاختفاء :

١-الإيمان بالله والثقة فى قدرته :

عندما شددت الحكومة فى البحث عن النديم وملأت صحفها بالمفتريات عليه وعلى زملائه من الثوار قال : أما ثقتى بالله تعالى فإنها أكبر وأعظم من خطوبى وكروبى وإنه لا يقع الا ما

يريده الله تعالى وإن العبيد لا يمكنهم أن يحدثوا فى الكون ذرة أو يغيروا شيئا من مراد الله تعالى. مما يوضح إيمانه بالله والثقة فى أنه لن يصيبه إلا ما أراد الله له.

٢-قدرته الفائقة على التنكر :

كان لدى النديم مقدرة فائقة على إجادة فن التنكر، إذ كان يجوب البلاد منكرا هيئته ولهجة كلامه منتحلا شخصيات مختلفة وأعمالا متنوعة، بحيث كان يصعب على كل الناس- حتى أقرب الناس إليه - معرفته. ويمكن تعليل ذلك بمعرفته للهجات العربية المختلفة، حيث نشأ وهو صغير فى منزل يجاور سوق المنشية بالإسكندرية، وفى هذه السوق كانت حوانيت الشوام والمغاربة والحجازيين الذين اتلقط منهم النديم لهجاتهم.

٣-الذكاء والحذر الشديد :

ساعد ذكاء النديم وحذره الشديد وتوقعاته للمخاطر على سهولة الاختفاء فكانت اتصالاته مع أصدقائه يتبع فيها السرية والحذر الكاملين، وكانت مراسلاته لهم تكتب برموز سرية، كما أكد النديم على أصدقائه وأهله بعدم زيارته فى مخبئه حتى لا تقتفى الحكومة أثرهم وتعرف مكانه، ويتضح ذلك من رسالة إلى صديقه الأزهرى حيث قال فيها: "إذا حدثتك نفسك بالحضور عندى فراجعها وقر مكانك فإنك ربما اتبعت بمن يقف

على منتهى سفرك فقد علمت من كتاب بعض إخوانى أن الحكومة هاجمت بيتك وفتشته فلا ينبغى أن تخاطر بنفسك فتضرها وتضرنى معك، كما كان النديم يضغط على عواطفه فرغم اشتياقه إلى رؤية والديه فقد رفض حضورهما بالقرب منه، فعندما سأله الخواجة الفرنسى أن يحضرهما إلى أبعاديته ليريحهما من المتاعب التى يتعرضان لها طلب منه النديم العدول عن ذلك حتى لا يتبع جواسيس الحكومة أثرهما ويعرفوا مكانه. وقد كان النديم على حق فى هذا، فقد كانت السلطات تتبع والده ووالدته وأخاه فى تنقلاتهم، وهجموا أكثر من مرة على الأماكن التى ترددوا عليها للوصول إليه.

ومن الأمثلة على حذر النديم أيضا أنه عندما طلب الخواجة الفرنسى منه أن يحضر زوجته معه للاشتراك فى مناقشاتهما وافق النديم على ذلك بشرط أن تتخفى فى ثياب بلدية بقوله: "إن كان عندها ثوب وبرقع فبها وإلا أعطيناك من هنا ثيابا وطنيا وبرقعا لتتستر بها فإن مجيئها بثيابها الإفرنجية يوجب توجه الأنظار إليها وإعمال الأفكار فى الباعث على التردد».

كما يتضح حذره أيضا عندما طلب منه الخواجة الفرنسى أن يشترى له قفطانين رجاه النديم أن تكون أكمامهما طويلة كأكمام الفقراء، فقد يضطر للمشى أو القعود مع الناس فيرون لبس فقيه

أو عالم، كما طلب منه شراء لباسين لأن ألبسته فى صورة البنطلون ولها أربطة فى الرجلين، والفقهاء لا يلبسون مثلها فيكون ذلك محل الانتقاد والفكر فى حقيقته.

٤-شغل وقت الفراغ فى التأليف:

شغل النديم أوقات فراغه فى التأليف مما أبعده عن التفكير فى الهموم، فألف عشرين كتابا، كما كتب الرسائل المطولة إلى أصدقائه.

٥-وفاء الشعب المصرى ومروءته:

لقد مكن أبناء الشعب النديم من الاختفاء وأشرفوا على تنقلاته ومساعدته وهؤلاء كثيرون وإن كان أبرزهم الشيخ "شحاتة القصبى" والشيخ "محمد الهمشرى" وزوجته والشيخ "سعيد الأزهرى، والشاعر والأديب "محمد شكرى" وإبراهيم حرفوش عمدة البكاتوش وأحمد المنشاوى باشا "ومحمد معبد الحلاق" والشيخ «خليل» مأذون العتوة القبلية وغيرهم.

٦- وفاء الخواجة الفرنسى وزوجته للنديم:

كتم الخواجة الفرنسى وزوجته سر النديم وكانا يحضران إليه بالمخبأ فى سرية تامة حتى لا يكشف أحد أمرهما كما كان الخواجة الفرنسى يحضر للنديم ما يحتاج إليه من لوازم بمجريات الأمور فى البلاد وما تكتبه الجرائد عن العرابيين، كما أطلق الشائعات

عن فرار النديم إلى الخارج حتى تتوقف السلطات فى البحث عنه بالداخل .

٧- إيمان الفلاحين بعدالة الثورة :

لقد آمن أبناء الريف أن ما قام به عرابى كان إجابة لمطالبهم العادلة وأنه لم يهزم إلا نتيجة الخيانة وقد عبروا عن ذلك بقولهم : " الولس هزم عرابى" ، وقد صور الصحفى "سليم النقاش" أثر الهزيمة فى نفوس أهل الريف بقوله : وكانت تلوح فى الواقع ملامح الأسف على وجه كثيرين من أهل الريف" . هذا إلى جانب ما هو معروف عن مروءة أهل الريف عند الشدة وشهامتهم فى مساعدة المظلوم وإيواء الضعيف ، فمع أن كل من تستروا على النديم لم يكن بينهم وبينه نسب ولا قرابة ولم يدخل بلادهم قبل الاختفاء لأى غرض من الأغراض فقد ساعدوه على الاختفاء رغم تهديدات الحكومة بإعدام من يؤويه أو يخفيه أو ينقله من جهة إلى أخرى ، ولم تغرهم المكافأة الكبيرة التى رصدتها الحكومة وهى ألف جنيه مع أن معظمهم فقراء ، وقد وصف النديم شهامة هؤلاء بقوله : " وجدت من رجال الهمم من يحفظون العهود والذمم ويقابلون الشدائد بالعزائم ، ولا ترجف قلوبهم للعظائم " وقد ذكر لهؤلاء جميلهم على صفحات مجلة الأستاذ .

٨- الأمل فى الثورة ضد الاحتلال :

أمل النديم أن تنتفض البلاد مرة أخرى ضد الاحتلال ويقود زمامها رجالها، ويقفوا فى مواجهة الظلم والطغيان، ويتضح ذلك من خطاباته إلى عرابى بسيلان حيث كان يخبره فيها بما حدث للبلاد فى ظل الاحتلال، ويبث فيها آماله الكبيرة فى انتفاضة الشعب مرة أخرى.

٩- تنقل النديم بين القرى والكفور والابتعاد عن المدن :

استطاع النديم التنقل بين القرى والكفور بذكاء والابتعاد عن اللجوء إلى المدن، وذلك لدرايته أن قوات البوليس فى الريف محدودة وأن السلطة مركزة فى المدن حيث يوجد فى الريف الاستقرار، كما أن المشكلات الداخلية بين أهل الريف تحل على المصطبة دون اللجوء إلى البوليس.

هكذا قضى النديم أيامه ولياليه فى أثناء حقبة الاختفاء التى زادت علي تسع سنوات، وهكذا كان الشعب المصرى أصيلا مع رجاله فى أثناء الشدائد.